

## الشريف الطليق الأندلسي

( 352 هـ . 400 هـ )

سيرته وأهم موضوعاته الشعرية

(دراسة موضوعية وفنية)

أ/ امحمد بن لخضر فورار

قسم الأدب العربي

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة محمد خيضر . بسكرة

**Résumé:**

cet expose essaye de lever le voile sur la biographie de El Charif El Talik et ses principaux theme poetiques et ce par une approche thematique et artistique de ses oeuvres .en commençant par une courte introduction historique.L'expose débute par la présentation du poète dans sa prison : lieu, ou,et l'explosion de son genie poetique et ou il s'est distingue en clamau son Amour pour les blondes ,le vin ,la prison et la fierté.

**المخلص:**

يحاول هذا البحث أن يميط اللثام عن سيرة الشريف الطليق المغمورة، ويتناول أهم موضوعاته الشعرية، بالدراسة الموضوعية والفنية، ويمهد لها بمقدمة تاريخية موجزة، فالتعريف بالشاعر اسما ولقباً فسجنا وفيه نفتقت قريحته الشعرية، وتميز في التغزل بالشقراوات وأجاد في وصف الخمر والسجن وفي الفخر، وللبحث بقية.

## مقدمة:

لم يحظ الشريف الطليق من أصحاب الدراسات الأندلسية الحديثة بأكثر من إشارات يسيرة، باستثناء (غرسية غومسي) في كتابه مع شعراء الأندلس والمنتبني (1)، وقد عربه الدكتور الطاهر أحمد مكي، وذيله بملحق يزخر بأشعار لم يتعرض لها مؤلف الكتاب، تتمثل في بعض التراجم المختصرة (2). ولعل هذه الدراسة تفي بحق الشاعر وتعطيه حق قدره.

لقد مهدت بمدخل تاريخي موجز ووقت فيه على دور القادة الذين عاصرهم الشاعر، تعرضت في أثناءه لأمر اجتماعية يسيرة مع إشارة خاطفة إلى الازدهار الثقافي، وكثرة الأدباء ليكتمل الإطار العام لأحداث حياة الشاعر. ثم رسمت لوحة لحياة الشريف الطليق، وذلك بالتعريف به، اسما ولقباً ونشأة، وبخاصة في عهد الدولة العامرية؛ إذ سجنه المنصور بن أبي عامر، وفي سجنه تفتقت قريحته، ثم أطلق سراحه، ويسعد من جديد.

بعدئذ عكفت على دراسة أهم موضوعاته الشعرية، وتطرقنا للناحية الفنية، معنى ومبنى. في حدود ما تيسر لي من مادة. ليستوي العمل على هذه الصورة التي لا أدعي أنني خلصت للغاية المرجوة، وإنما محاولة لبعث هذه الشخصية التي لامناص من البحث فيها. وأنهيت دراستي بخاتمة لأهم النتائج.

## عصر الشاعر:

عاش الشريف الطليق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، بحيث زامن حكم الخليفة الحكم المستنصر بالله (350 هـ . 366 هـ) (3). وكان هذا الخليفة يحب العلم وأهله، وأسس مدارس لتعليم الصغار من أبناء الضعفاء، وأسبغ العطاء للمؤدبين والعلماء في مختلف تخصصاتهم، وأنشأ مكتبة هائلة، جمع فيها نفائس الكتب، وكان يدفع في جمعها مبالغ باهضة (4)، يورد المقري أن كتاب الأغاني ظهر في الأندلس قبل ظهوره في المشرق (5).

خلف هشام المؤيد أباه الحكم بعد وفاته (366 هـ . 399 هـ)، وهو في العاشرة من عمره تقريبا، وكان المسير والمدبر هو حاجبه المنصور محمد بن أبي عامر المعافري، ثم تمكن فيما بعد من الانفراد بالسلطة بعد أن استقر في مدينته الزاهرة، إلا أنه لم يجرده هشاما، رمز الأمويين، من شكل الخلافة الشرعية، بل أوصى ابنه عبد الملك المظفر سلوك نفس السبيل بعد وفاته سنة 392 هـ، لكن ابنه الثاني عبد الرحمن شنجول خالف الوصية واستأثر بالخلافة، فأشعل بذلك نار الفتنة، ولقي مصرعه سنة 399 هـ (6).

وبالرجوع للمنصور واستبداده وانفراده بالحكم، إلا أنه رعى الحركة العلمية والأدبية، حتى كثر الشعراء والعلماء والأدباء في عصره؛ فجعل للشعراء ديوانا خاصا يعطي فيه كل حسب طبقته (7)، ويصحبهم معه في غزواته لتسجيل ما يحظى به من انتصارات (8).

أما العلماء والأدباء فإن للمنصور مجلسا يعقد كل أسبوع في قصره الزاهرة، يجتمعون فيه للمناظرة بحضورته متى كان مقيما بقرطبة (9)، ومدارسة مسائل العلم واللغة والأدب، وبحث نثره ونقد شعره (10). وبانتهاء القرن الرابع الهجري توفي شاعرنا الطليق.

## اسمه الطليق ولقبه:

ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أولاد عبد الرحمن الناصر الذكور أحد عشر منهم مروان الذي رزق ولدا اسمه عبد الرحمن ، وكان لعبد الرحمن هذا ولدان هما: مروان الذي يعرف (بالطليق) فيما بعد ، وأخوه عبد الملك . وعلى هذا فإن النسب الصحيح للطليق - كما سنعرف فيما بعد . هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر (11). والمقري ذكره بهذا التعريف في نفع الطيب ، يقول : ((مروان ابن عبد الرحمن بن عبد الملك ابن الناصر )) (12).

والمصادر التي ترجمت للطليق لم تذكره (بابن الناصر) ، وهذا ما يدفعنا إلى القول: بأنه قد وقع في خطأ ، وكذلك نجده يكنى بأبي عبد الملك ، وهي كنية اكتسبها من اسمه فقط ، لأن أولاده الأربعة (13) الذين عددهم ابن حزم لم يكن فيهم من يحمل هذا الاسم كما سيأتي .

أما تسمية مروان هذا بالطليق ، فمن ترجمة الضبي له ، نجد أن حياته تنقسم إلى ثلاث مراحل متساوية: ستة عشر عاما قبل السجن ، وستة عشر عاما فيه ، وستة عشر عاما بعد العفو عنه(14). ومن ثم يمكن أن نقدر بأنه ولد حوالي عام 352 هـ ، وأطلق سراحه فيما يبدو عام 384 هـ ، فلقب بعد ذلك بالطليق .

والمصادر التي ترجمت له لم تعرفنا بشيء عن طفولته ولا بشيء عن المعاناة التي أودت به إلى السجن ، يذكر الحميدي رواية لا يقطع بتعيين راويها ، فهي إما لمحمد ابن إدريس أو غيره بالمغرب أن مروان بن عبد الرحمن هذا (( كان يتعشق جارية كان أبوه قد رباها معه ، وذكرها له ، ثم بدا له فاستأثر بها ، وأنه اشتدت غيرته لذلك ، فانتضى سيفاً ، وانتهز فرصة في بعض خلوات أبيه معها فقتله ، وعثر على ذلك فسجن وذلك في أيام المنصور بن أبي عامر ثم أطلق بعد ذلك فلقب بالطليق لذلك )) (15) . يتضح من هذا القول أن الطليق أقدم على هذه الجريمة حوالي عام 368 هـ ، ومن ثم يصدق القول: بأن الذي سجنه هو المنصور بن أبي عامر يوم كان حاجبا للخليفة هشام المؤيد بالله .

### الطليق والسجن :

كانت الغيرة قد أعمت بصر مروان الطليق ، وشلت بصيرته فارتكب جريمة عن غير وعي وإدراك، فهو لم يرغم أبدا عن قوله (16) :

كن كما شئت فقد شاء الهوى  
إنه ينفذ فينا كما يشا

لذلك ليس غريبا أن يتصرف هكذا من رفع يد الطاعة لهواه ، واستسلم لمشيبته استسلام الضعفاء اليائسين ، فجر المرواني الطليق نفسه إلى السجن. وكان حظه من الثقافة يومئذ ضئيلا لا يعدو مبادئ القراءة والكتابة (17) ، إلى أن دخل السجن حيث التقى فيه مع عدد من رؤساء الأديباء (( فلم يزل الطليق يأخذ عنهم ويستمد منهم ، حتى ثري تربه وطلع عشبه ويسما ذكره وطار شعره )) (18) واخذ ينظم قصائد تعدت حدود السجن لتصل إلى أسماع الناس ، ويتلقاها المنصور بن أبي عامر ، ولم يصدق أنها من نظمه (19) . ويعتقد أن بعض الشعراء المسجونين معه كان يساعده على نظمها .

والمصادر الأديبية لم تذكر الشعراء الذين التقى بهم الطليق يومئذ إلا شاعرا واحدا هو محمد بن مسعود البجاني (20) ، ويصفه ابن بسام بقوله : (( كان شاعرا مجودا جزل المقاطع ، حسن المطالع ، جيد الابتداع لطيف الاختراع )) (21) .

وقد كلف ابن مسعود البجاني اليماني هذا بالطلاق حين وجده غلاما وسيما فتصور نفسه أحد اثنين دخلاء السجن مع يوسف الصديق ، رمز الجمال، فقال يذكر ذلك في شعره (22) :

غدوت في السجن خدنا لابن يعقوب  
رامت عداتي تعذبي وما شعرت  
راموا بعادي عن الدنيا وزخرفها  
لم تعلموا أن سجتني لا أبالهم  
وكانت أحسب هذا في التكاذيب  
أن الذي فعلوه ضد تعذبي  
فكان ذلك إدنائي وتقريبي  
قد كان غاية أمالي ومرغوبي  
والأبيات لا تدل على عشق بمقدار ما تدل على الإعجاب بجمال الطليق وتهوين  
من وقع السجن على النفس ، وهذا لا ينتقض بقوله (23) :

وفيك ما يتسلى العاشقون به  
من حسن خلق ومن ظرف وطيب  
لعل هذا البيت يؤكد ما كان عليه الطليق من صفات الجمال والظرف وحسن  
العشرة والخلق . والمهم هنا هو تأثير ابن مسعود والشعراء الذين اتصل بهم الطليق في  
سجنه لتوجيهه الوجهة الحسنة لا أكثر .

وكانت السنوات الأولى التي قضاها الطليق في السجن خصبة بالنتاج الشعري ،  
فهذا ابن الأبار يذكره بقوله : (( كان أدبيا شاعرا مكثرا، وأكثر شعره في السجن )) (24)، إلا  
أن هذا الأكثر لم يبق منه إلا القليل . وبعد ستة عشر عاما . فيما تقول الرواية . أطلق سراح  
الطليق ليقطع شوطا آخر من حياته خارج السجن .

وقبل الحديث عن حياة الطليق خارج السجن يمكن ذكر سبب إطلاقه ، فعنه  
تختلف الروايات ، لقد قيل : إن هذا الإطلاق لم يكن عفويا بل تدخل فيه القدر ، وفي تعليل  
ذلك التوجيه وردت روايتان إحداهما يوردها ابن صاحب الصلاة ، ثم المقرئ من بعده ،  
يؤكد أن المنصور بن أبي عامر رأى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم في منامه يأمره  
بإطلاقه فأطلقه (25). وثانيهما أوردها عبد الواحد المراكشي على نحو مختلف ، يقول : ((  
إن الأمير مروان كتب يوما قصة يذكر فيها ما آلت إليه حاله من ضيق الحبس وضنك  
العيش ، فرُفعت إلى ابن أبي عامر ، فأخذها في جملة رقايع داره )) (26)، ويشير  
(غومس) إلى الحيوانات المتوحشة بقوله : ((وجرت العادة في تلك الأيام ، أن تكون في  
حدائق بيوت السراة حيوانات متوحشة في أقفاصها ، وأخرى مستأنسة مطلقة السراح ))  
(27) ، ويكمل المراكشي قوله : ((فجاءت نعامة كانت هناك ، فجعل يلقي إليها الرقايع ،  
فتبتلع شيئا وثلقي شيئا ، فألقى إليها رقعة هذا الشريف في جملة الرقايع وهو لم يقرأها ،  
فأخذتها ثم دارت وألقته في حجره ، فرمى بها إليها ثانية ، فدارت القصر كله ثم جاءت  
وألقته في حجره ، فرمى بها إليها ثالثة... وفعلت ذلك مرارا ، فتعجب من ذلك ، وقرأ الرقعة  
، وأمر بإطلاقه ، فسمي بذلك طليق النعامة )) (28). وهكذا تخيل وكأن النعامة تحدثه  
بلسان القدر .

كان الطليق يوم إطلاق سراحه في الثانية والثلاثين من عمره ، وفي الثلث الثالث  
من حياته تزوج ورزق من زواجه أربعة أبناء هم: يزيد ولبيد وعبيد الله وأريد (29). ولا  
نعرف أيضا إلا القليل عن حياته .

ولا شك أن إقباله عاد إلى حياة اللهو ، والقصيدة التي أنشدها في دعوة عند أمير  
أموي في مجلس شراب . كما سنرى . لخبر دليل على ذلك .

لقد عاش الشريف الطليق ثمانية وأربعين عاما، وتوفي قريبا من سنة 400 هـ

(30).

## شعر الطليق:

كان شعر الطليق فيما يبدو وفيرا ، ويسمبه الضبي (( الشاعر المكثّر )) (31)، ويدعوه ابن حزم في طوق الحمامة بأنه (( أشعر أهل الأندلس في زمانهم )) (32). وللحميدي أيضا رأي فيه ظل المتأخرون يرددونه ، فهو يؤكد ((أبو عبد الملك هذا في بني أمية كابن المعتز في بني العباس، ملاحه شعر، وحسن تشبيهه )) (33). ويضيف ابن حزم في الجمهرة قوله: ((مروان هذا من الشعراء المفلقين المحسنين )) (34).

وأورد (غومس) أنه عثر له على مائة بيت من الشعر تقريبا في ثلاث عشرة قطعة واحدة منها طويلة ، وهي القصيدة القافية نسبة إلى قافيتها ، وخمس أخرى جاءت كل واحدة منها في أقل من عشرة أبيات ، وأما الأخرى فبقايا قصائد طويلة ، أو مقطوعات قصيرة ، وكل واحدة منها في بيتين (35) .

وأما الدكتور الطاهر أحمد مكي الذي قام بجهد كبير ، وهو مشكور عليه ، في تعريب الكتاب السابق الذكر ، لاحظ أن المؤلف لم يجمع كل نتاج الطليق الموزع في المصادر التاريخية والأدبية والتراجم إذ عثر على أربع عشرة قطعة أحقها بشعره (36) ، ومع مواصلة البحث في الشخصية سيعثر على مزيد من شعره .

هذه الأشعار التي تروى للطليق ، وأكثرها نظمها في السجن ، فهي تتوزع على الغزل والخمريات ووصف الطبيعة ، وهو فيها (( يعبر عن مشاعر صادقة ، وتتضح فيها ثقافته بالشعر العربي ، وتمثله للصياغة الشعرية الرصينة الموقنة في العناية بالأخيلة والتساوير )) (37) .

## الغزل:

كان كل شيء في الأندلس يدعو إلى الغزل من (( من طبيعة جميلة وحياة حضرية ناعمة ومجالس أنس ورخاء وخمر وغناء )) (38) . ومن ثم لم يكن أمام القلوب الشاعرة إلا أن تتقاد لعواطفها ، فأحبت وتغزلت ، وهذا الشريف الطليق يصف من يهوى ويحب ، مازجا بين جمالها وبين الطبيعة ، يقول (39) :

ودعت من أهوى أصبلا لبتني	دقت الحمام ولا أدوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده	و الورق تندب شجوها بهواه
و على الأصائل رِقَّةً من بُعده	فكأنها تلقى الذي ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا	فلذلك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداه	سحرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه و نكهته الصبا	و الورد أخضله الندى خداه
فلذلك ألع بالرياض لأنها	أبدا تذكرني بمن أهواه

فهو يصور وجده و التياغه بذكر من يهواه من خلال عناصر الطبيعة ، فالشمس في وداعها للأفق أصيلا و ما يطراً عليها من وهن و صفرة كأنما تشكو وجدها بحبها ، و بالمثل تندب الورق من الحمام لوعتها بهواها، و كأنما سبكت على الأصيل والنسيم رقة الوجد ، و أريجه العطر ، و أن شذا أي روض تنفتح أزهاره الندية سحرا ، و الزهر مبسمه ، وهو ما يجعله يولع بالرياض ، إذ تمثل عناصره حبيبته و تجسمها بكل ما فيها من حسن وجمال.

و لنسمعه يشبه المرأة بالغصن الثابت في كتيب نقا و يشبهها بالقمر و بظبي أحور ، وهي تسدد السهام إلى قلوب المفتونين بها ، ويشبه الأسنان في اللثة بعنقود در ، وصدغ الشعر المنسدل بين الأذن والعين باللام ، و أن الأشقر منه يسيل سيلان التبر على

الورق أو الفضة . كل ذلك سبق إليه الطليق ، ولكنه عرف كيف يصوغه و يحور فيه تحويرات تجذب القارئ وتترقه (40) :

غصن يهتز في دعص نقا  
أطلع الحسن لنا من وجهه  
ورنا عن طرف ريم أحور  
باسم عن عقد درّ خلته  
سال لأم الصدغ في صفحته  
سيلان التبر وافى الورقا

ويواصل الشاعر وصفه للمرأة التي اكتمل حسننها ورواؤها لأن الغصن يكتمل عندما يورق، قال (41):

فتتاها الحسنُ منه إنما يحسنُ الغصن إذا ما أورقا

ويواصل الشاعر وصفه في ذكر محاسن محبوبته متحدثاً عن رقة الخصر ونحوه وملازمته للردف وعلوقه به ، ومثلها مثل حبيبه الذي يظل معتقاً به ، ويعجب منهما لأنهما يشبهانها دون أن يحدثا هجرا ولم يفترقا . والشاعر وفق في إيجاد علاقة متينة بين الحبيب والمحبوب كالعلاقة بين الخصر والردف ، هذه العلاقة لا تنقطع مهما سعى الوشاة والرقباء إلى استئصالها ، قال (42):

رقّ منه الخصر حتى خلّته  
وكان الردف قد تيمه  
ناحلا جاور منه ناعما  
عجا إذ أشبهانا كيف لم

وللطليق صورة يتحدث فيها عن عيني محبوبته وسحرهما ويدعي أن هاروت الذي كان يعلم الناس السحر ببابل قد سكن فيهما ، ولذلك تسكران وتسحران كل من ينظر إليهما ، فيقول (43):

كأنما إنسان أجفانها  
وليس إنسانا ولكنه  
للخمر من تحبيرها مدمن  
هاروت في مقلتها يسكن

يتضح - مما تقدم - أن الطليق اهتم بوصف ملامحة المرأة الحسي المرئي من نحول خصر وردف ولحظ وجفن وصدغ مازجا جسد المرأة الجميل بما عثر عليه من الطبيعة فأبرزه في ثوب بديع ، كشأن شعراء الأندلس الذين اهتموا بمظاهر جمال المرأة الحسي، مازجين بينها وبين الطبيعة ، قال المقري في ذلك : (( إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خودا ومن النرجس عيونا ، ومن الأس أصداغا ومن السفرجل نهودا ومن قصب السكر قدودا ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رُضابا )) (44).

وإلى جانب إبراز جمال المرأة الحسي نجد الشريف الطليق يقع في حياها ويصور مشاعره المتضاربة تجاهها ، فيشكو من طول الليل عندما يخلو من حبيبه ، فيقول (45):

فما بال صحبي قد تقارب خطوه  
فأبطأ حتى ليس يُرجى قُدومه  
كأن نجوم الليل قيدها الدُجى  
وأوقفها في موضع لا تريمه

هذا الحديث عن بعد الحبيب جعل ليل الشاعر يطول بسببه ، كما تقدم الحديث عن الوداع للطليق نجده هنا يقول : إن ما بنفسه من لواعج اللوعة يجعله كالذبيحة ، عينه كحلقها يسيل منها الدمع ، وصدورها كصدره تحطمه اللوعة ، ثم يقول دعوني من الصبر الجميل فإنه قبيح عند المحبين (46):

أقول ودمعي يستهلُّ ويفسح  
 دعوني من الصبر الجميل فإنني  
 لقد هيج الأضحى لنفسي جوى أسى  
 كأن بعيني خلقت كل ذبيحة  
 يا ليت شعري هل لمولاي عطفة  
 يدارى بها مني فؤادٌ مجرَّح

وقد هاج في الصدر الغليل المبرِّح  
 رأيت جميل الصبر في الحب يقبَّح  
 كريبه المنايا منه للنفس أروح  
 به ، وبصدري قلبها حين تُذبح

وإذا كان الشاعر الأمير كالذبيحة فحق له أن يتضايق من عيد الأضحى لأنه  
 تكثر فيه الضحايا ، ونحن نغلب الصدق على هذا الأمير ، لأن الأمراء في أكثر أمرهم  
 يكونون صادقي العاطفة (47)، لكن هذا الحب لا يستمر أحيانا بين الحبيب والمحبيب ، لأنه  
 كثيرا ما تظهر شخصية تدعى (الرقيب) لتعكر صفوهما وجوِّ لقاؤهما ، يقول الطليق (48):

ضيع الله من بضيع وقتا  
 قد خلا من مكدر ورقيب

يستفاد . مما تقدم . أن الشاعر الطليق كان ، كغيره من شعراء الأندلس ، قد  
 تحدث عن تحول الجسم ، وبعد المحبوب يطول ليل الحبيب بسبه ، وتحدث عن الوداع ،  
 وتحدث عن الرقيب الذي لا يجعل الحب بين الحبيبين يستمر فيعكر صفوهما وجوِّ لقاؤهما ،  
 كما تغزل بالشقر ، فعن ذلك يعرفنا ابن حزم بالشاعر ، وقد عرفه شخصيا ، وكان على  
 صلة به ، بقوله: ((وأكثر غزله فبالشقر ، وقد رأيتُه وجالسته)) (49). ويوضح (غرسية  
 غومس) ذلك بقوله: ((إن أكثر شعره الغزلي كان في نساء شقراوات ، جريا على عادة بني  
 أمية الإسبانين ، من تفضيل الشقراوات في حياتهم العاطفية ، ونعرف ذلك عنهم وثيقا ،  
 وكان الأشقر هو الغالب على بني أمية تقريبا ، واستجابة لمنزَع أدبي كان يسود الحياة في  
 قرطبة على تلك الأيام)) (50).

لقد طرق الشريف الطليق الغزل . مما وصلنا منه من مقطوعات وأبيات شعرية .  
 كفن مستقل لذاته ، وأحيانا يمتزج بالفنون الأخرى كوصف الطبيعة والخمريات .

#### الخمریات:

قد يكون لشرب الخمر ومعاقرتها استجابة لدواعي كثيرة ، توفرت في الأندلس في  
 عهد الدولة العامرية ، ومن تلك الدواعي وأهمها كثرة الشراب بسبب كثرة الكروم ، وإنتاج  
 الأندلس للخمر والأنبذة وترخص في شربها (50) ، وإضافة إلى جمال البيئة الأندلسية ،  
 كثرة الانتصارات التي كان يحققها المنصور بن أبي عامر في غزواته (51) ، والتي أدت إلى  
 وفرة المغامم وكثرة الثروات ، مما ساعد على شيوع اللهو وشرب الخمر والإقبال على  
 الملذات .

وقد كان المنصور بن أبي عامر يحب الشراب والرقص واللهو ، وقد كانت له  
 مجالس أنس تحكي أخبارها بعض الكتب (52).

إذا دفعت تلك العوامل مجتمعة إلى الإغراق في الملذات الحسية والانغماس في  
 حمأة المجون ، فكثر لذلك مجالس الشرب والأنس في الأندلس ، فمن هذه المجالس نجد  
 الشاعر الطليق يصف الكأس وحامله والزمن الذي كان يكثر فيه شرب الخمر ، يقول (53)

رُبُّ كَأْسٍ قَدْ كَسَتْ جُنْحَ الدُّجَى  
 بَتُّ أَسْقِيهَا رَشًا فِي طَرْفِهِ  
 خَفِيْتُ لِلْعَيْنِ حَتَّى خَلَّتْهَا  
 أَشْرَقْتُ فِي نَاصِعٍ مِنْ كَفِّهِ  
 فَكَأَنَّ الكَأْسَ فِي أَمْلِهِ  
 أَصْبَحَتْ شَمْسًا وَفَوْهَ مَغْرِبًا

تَوْبٌ نَوْرٍ مِنْ سَنَاها يَقْفَا  
 سِنَّةٌ تَوْرَتْ عَيْنِي أَرْقَا  
 تَنْقَى مِنْ لِحْظِهِ مَا يَنْقَى  
 كَشَعَاعِ الشَّمْسِ لَاقِيَ الفَلْقَا  
 صُفْرَةَ النَّرْجِسِ تَعَلُّ الِوَرْقَا  
 وَبَدُّ السَّاقِي المَحْيِي مَشْرِقَا

فإذا ما غربت في فمه تركت في الخدمه شفقا  
فلاستعارات في هذه المقطوعة الشعرية مناسبة ؛ فالكأس كست ظلام الدجي ثوب  
نور من ضوئها ناصع البياض، وقد بات يسقيها رشا وعيناه ذابلتان وكأن بهما سنة من  
النوم ، وأن فتورهما وجماله ليؤرقه، ويقول: إنها خمر روحانية ، حتى أنها لا تكاد ترى  
وكأنها تتوارى من لحظ هذا الرشا خشية أن تصيبها سهامه ، ويجعل يد الساقى مشرقا لتلك  
الشمس أو تلك الخمرة ، كما يجعلها تغرب في عين الرشا أو فم صاحبه . وقد جعل يد  
الساقى مشرقا وجعل الخمر حين تغرب في فم صاحبه تتحول في الخدم منها شفقا .  
وعلى عادة شعراء الأندلس فإنهم تهادوا الخمر وأدواتها فيما بينهم ، وعدوا ذلك دليلا  
لأواصر المحبة وتعريزا لروابط الصداقة ، أو القرابة ، أو تقديرا للشخص المهدي له ورفعاً  
لمكانته ومنزلته لدى القادة والأمراء ، ومن ذلك ما أورده المقرئ عن شاعرنا أنه : ((بات  
عند أحد رؤساء بني مروان ، فقدم له ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر ، وقال:  
اشرب وصف فداك ابن عمك ، فقام إجلالا وشرب صائحا بسروره ، ثم قال : الدواة  
والقرطاس ، فأحضرا وكتب:

شرب كريم في العلا منتخب	إشرب هنيئا لا عداك الطرب
برد أصيل معلما بالحب	وفاك بالراح وقد ألبست
غير ألي المجد وأهل الحساب	في قدح لم بك يسقى به
في جامد الفضة توب الذهب	ما جار إذ سقاك من كفه
واشرب على ذكره طول الحقب)) (54)	فقم على رأسك برا به

فالطليق يدعو للشارب بالهناء والطرب ، شرب الراح التي يعلوها الحبيب في قدح  
لا تقدم إلا لذوي الجاه وأصحاب المجد والحسب العريق ، ويتمنى له بشرها طول الحقب .  
يتضح من النموذجين أن الخمريات كانت من أكثر الموضوعات الشعرية ذيوعا ،  
فقد تنافس الشعراء في وصفها ، والطلاق نجده قد وصف . كما تقدم . آلتها وحبابها ومذاقها  
، و تحدث عن الساقى والكأس حتى يختلط السكر بالغزل ، ووصف آلات الخمر بمفاته ،  
كما وصف مجالس الخاصة من بني أمية أصحاب الجاه والحسب . ولكن مثل هذا المجد  
لم ينعم به الشاعر في صغره كثيرا . كما تقدم . إذ سرعان ما سجن ، ووصف السجن كما  
سيأتي .

### شعر السجن:

يعد شعر السجن شديد الصلة بالهزاء السياسي ، فهو نتيجة له في معظم الأحيان  
، إذ كثيرا ما يؤدي الموقف الأول بصاحبه إلى السجن عقابا له ، وقد يكون السجن لأسباب  
أخرى كما حدث للشريف الطليق ، الذي دخل السجن بجرمة ارتكبها في حق أبيه ، وفيه  
التقى بالأدباء السجناء . كما تقدم . وتفقت قريحته في قول الشعر ، واتخذة وسيلة  
للاستعطاف ووصف الهموم النفسية ، وتصوير السجن وما ينتاب السجين من مشاعر وهو  
في قيوده ، وما يعرض له من هواجس في هذه التجربة القاسية والمرة التي يفقد فيها السجين  
حريته .

فهاهو الطليق يصور ظلمة السجن من خلال مقارنته لمدينة الزهراء التي تتلأأ  
أنوارها ، ويشبه ظلمته في الزهراء المشرقة بحبر في دواة لامعة في عاج ، وبالليل المظلم  
الأسود ، فيقول(55):

داجي النواحي مظلم الأتجاج	في منزل كالليل أسود فاحم
كالخبر أودع في دواة العاج	يسودُّ والزهراء تشرق عليه

والشاعر نجده بعد أن وصف ظلمة السجن ، يحدثنا عن مصائب الدهر ونوائب الزمان ، فيلقي عليهما بالتبعية ، وهما أعلى من خصمه الذي زج به في السجن ، وسبب له كثيرا من الآلام المادية والمعنوية ، إذ ليس الخصم هو الذي فعل كل شيء ، وإنما الدهر والزمان هما أيضا عاملان عظيمان يظهران بالتبادل في شعر الطليق الذي يرى أن الدهر يهدم كل ما نبني ، ويظهر ذلك بطريقة وعظيمة خطابية ، يقول (57):

ألا إن دهرًا هادما كل ما نبني      سبيلي كما يبلى ويفنى كما يفنى  
وما الفوزُ في الدنيا هو الفوزُ إنما      يفوز الفتى بالريح فيها مع العُبنِ  
يُجازى ببؤسٍ عن لذيذِ نعيمها      ويجني الردى مما غدتْ كَفَهُ تجني  
ولا شكُّ أن الحزنَ يجري لغايةٍ      ولكن نفس المرء سببُهُ الظن  
وما طول سجنني عائبٌ لي فإنه      مسنُّ الألبابِ صدننٌ بلاسِنٌ  
وما أنا إلا كالعُقارِ تكسبتُ      نسِيمًا وطيبًا في معاقرةِ الدن

نستشف من هذه المقطوعة أن الشاعر أحس في سجنه بغيرور الدنيا وزوالها، فهي تصدر عن روح الاستسلام وتقويض الأمر لله ، ونحن لا تحرك فينا المشاعر الفنية بقدر ما نستشعر فيها صوراً تقريريةً تنجح إلى افتعال الحكمة بطريقة تقليدية أكثر من التصوير الفني الذي يمكن أن نلمحه في هذه الأبيات التي يصف فيها الكبل ، يقول (58) :

كأن زمني فوق ساقِي قايضٌ      ليقصرَ باعي عن علا كل مطلبٍ  
فمن زُرِّبَ الأقيادِ مدُّ بساعدومِن حَلقاتِ الكَبَلِ شَدُّ بمخلبِ  
أمرٌ على الأفواه ذكرا ولا أرى كأنِّي فيها ذكُرٌ عنقاءَ مغربِ

فالشاعر هنا يلقي اللوم على الزمان الذي مكنه من أن يصير مكبلا في هذا السجن المظلم ، وهو لا يرى ، خامل الذكر ، كعنقاء مغرب أي كهذا الطائر المعروف بالاسم والمجهول بالجسم ، يضرب مثلا للشيء الذي لا يعرف ، أو اللفظ الدال على غير معنى. لكن هذه المعاناة التي عاشها الشاعر . فترة من عمره . بين جدران السجن مختفيا عن العيون ، وهو مكبل ، يصارح مصائب الدهر ونوائب الزمان ، يطلق سراح الأمير الذي ينطلق مفتخرا بنسبه فيما سيأتي.

الفخر :

الفخر من أغراض الشعر العربي التي رافقته . مثل المدح . من قديم ، وقد عرفه ابن رشيقي بقوله : ((الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه و قومه ، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار )) (59) . من هذا التعريف للفخر نجد أن (غرسية غومس ) يجعله يقال على لسان ((الملك أو القائد ، يقول القوائد فخرا بنفسه ، ومثل هذه القوائد يدخل في باب المديح أيضا ، ولكن صفة المادية التجارية تنتفي عنها ، ومن ثم تزداد قيمتها الإنسانية إذا نحن استبعدنا ما عسى أن يكون فيها من المبالغة والإغراق )) (60).

من التعريفين للفخر يتضح لنا أنه فن غنائي يشيد فيه الشاعر . الملك أو القائد أو الأمير . بمناقبه الشخصية أو مناقب قومه .

وللشريف الطليق شعر يفتخر فيه بنفسه وبآبائه في قصيدته القافية ، يقول (61) :

من فتى مثلي لبأسٍ وندى      ومقالٍ وفعالٍ وثقَى  
شرفي نفسي ، وحلي أدي      وحُسامي مِقُولي عند اللقا  
ولساني عند من يختره      أفعوانٌ ليس تنتبه الرقى  
ويمني يُمُنُ عافٍ مُعسرٍ      جمعتُ حمدا غدا مُفترقا

جَدِّيَ النَّاصِرُ لِلدِّينِ الَّذِي	فَرَفَّتْ كَفَّاهُ عَنْهُ الْفَرَقَا
أَشْرَفُ الْأَشْرَافِ نَفْسًا وَأَبَا	حِينَ يعلوه وأعلى مُرتقى
أنا فخر العيشميين و بي	جَدَّ من فخرهم ما أخلقًا
أنا أكسو ما غفا من مجدهم	بحلى رونق شعري رونقا

فالشاعر . هنا . يفتخر ببأسه وفضله وقوله وفعاله وتقاه ، كما يفتخر بشرفه وأدبه ، ثم يفتخر بأصله الأموي الشريف . أشرف الأشراف . ويعطي مثلا بجده الناصر لدين الله الذي أقام أول خلافة بالأندلس لتقابل الخلافة العباسية بالمشرق ، واستطاع أن يوحد الدولة ، وأن يقضي على كل مظاهر التمرد . كما يستشف من المصادر التاريخية والأدبية التي تناولت هذا الموضوع . ثم يرى الشاعر عليه أن يكسو ما يعلو مجدهم برونق شعره ليزداد حسنا وإشراقا ، ثم يلج شعر الطبيعة الذي استولى على حواسه وفؤاده وتميز فيه كما سنرى في القسم الثاني من هذا البحث .

## الهوامش:

- 1 - غومس، أميليو غرسية . مع شعراء الأندلس والمنتبى. تعريب الطاهر أحمد مكي. دار المعارف . مصر. ط 3. 1983 .
- 2 - عباس، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة. دار الثقافة . بيروت. ط 6. 1981.
- 3 - راجع تفاصيل ذلك : الحميدي، أبو عبد الله ( - 488 هـ ) . جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة . 1966. ص 42 . الضبي ، احمد بن يحي ( - 599 هـ). بغية الملتمس. دار الكتاب العربي. القاهرة. 1967. ص 18. ابن الأبار، أبو عبد الله ( - 685 هـ .) . الحلة السبيرة. تحقيق حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة. ج 1 ص 200. ابن عذارى ، أبو عبد الله المراكشي ( - 695 هـ ) . البيان المغرب. تحسق ح . س . كولان ، وليفي بروفنسال. دار الثقافة . بيروت. ط 4. 1983. ج 2 ص 223. ابن سعيد، علي بن موسى ( - 685 هـ ) . المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف . مصر. ط 3. 1978 . ج 1 ص 186. ابن الخطيب، لسان الدين ( - 776 هـ ) . أعمال الأعلام . تحقيق ليفي بروفنسال. دار المكشوف. لبنان. ط 2. 1956 . ص 41 .
- 4 - ابن عذارى . المصدر نفسه. 2: 240.
- 5 - المقري ، أحمد بن محمد ( - 1049 هـ ) . نفع الطيب. دار صادر بيروت. ج 1 ص 368 .
- 6 - انظر تفاصيل ذلك : فورار ، احمد . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية ( 366 هـ . 399 هـ ) . رسالة ماجستير إشراف المرحوم الدكتور جودت الركابي. جامعة قسنطينة، الجزائر. 1995. ص 2 - 59 .
- 7 - الحميدي . جذوة المقتبس. 171 .
- 8 - ابن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة. 1974 . ج 2 ص 106.
- 9 - المراكشي، عبد الواحد ( - 647 هـ ) . المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة . 1960. ص 83 .
- 10 - ابن بسام ، أبو الحسن ( - 542 هـ ) . الذخيرة. تحقيق إحسان عباس. الدار العربية للكتاب. ليبيا - تونس. ط 1979. ق 4 م 1 ص 14 - 26 . المقري . نفع الطيب . 1: 582 - 584 . 3: 79 - 81 .
- 11 - ابن حزم أبو محمد علي ( - 456 هـ ) . جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف . مصر. 1962. ص 103، 100.
- 12 - المقري . نفع الطيب . 3 : 586 .
- 13 - ابن حزم . جمهرة أنساب العرب. 103 .
- 14 - الضبي . بغية الملتمس. 461 - 462 .
- 15 - الحميدي . جذوة المقتبس . 243 .
- 16 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1 : 103
- 17 - عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . 225 .
- 18 - ابن بسام . الذخيرة. 1/1 : 564 .
- 19 - عباس ، إحسان . تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة . 225 .
- 20 - هو محمد بن مسعود البجاني اليماني ، وأصله من بجانة الأندلسية ، وسكن في قرطبة فنسب إليها ، وكان شاعرا مشهورا منتجعا للملوك ، كثير الشعر مليح الغزل طيب القول . كان في حدود

- الأربعمائة . انظر ترجمته : الحميدي . جذوة المقتبس، 151. ابن بسام. الذخيرة . 1/1: 562. الضبي . بغية الملتبس. 131 . ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب . 191 - 192 . الحميري، محمد بن عبد المنعم ( - 727 هـ ) . الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق إحسان عباس. دار القلم للطباعة. بيروت. 1975 . ص 79. المقرئ . نفح الطيب. 3: 388.
- 21 - ابن بسام . الذخيرة . 1/1: 564.
- 22 - ابن بسام. المصدر نفسه. 1/1: 563.
- 23 - ابن بسام. المصدر نفسه. 1/1: 563. المقرئ . نفح الطيب. 3: 388.
- 24 - الضبي . بغية الملتبس. 462. ابن الأبار . الحلة السبيرة. 1: 221 .
- 25 - المقرئ . نفح الطيب. 3: 588.
- 26 - المراكش. المعجب . . 285.
- 27 - غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي. . 62.
- 28 - المراكشي. المعجب.. 286.
- 29 - ابن حزم. جمهرة أنساب العرب. 103.
- 30 - الحميدي . جذوة المقتبس . 343. ابن الأبار . الحلة السبيرة. 1: 221.
- 31 - الضبي . بغية الملتبس . . 462.
- 32 - ابن حزم . طوق الحمامة . تحقيق الطاهر أحمد مكي . مصر . ط 3 . 1980. ص 50.
- 33 - الحميدي . جذوة المقتبس . 343 .
- 34 - ابن حزم . جمهرة أنساب العرب . 103.
- 35 - غرسية غومس. مع شعراء الأندلس والمنتبي. 65 - 73 .
- 36 غرسية غومس. المصدر نفسه . 73 - 80
- 37 - ضيف ، شوقي . عصر الدول والإمارات . الأندلس. دار المعارف . مصر . 1989. ص. 280.
- 38- الركابي، جودت. في الأدب الأندلسي .. 121
- 39- المقرئ نفح الطيب. 3: 587. غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي. 69 - 70 .
- 40 - ابن الأبار . الحلة السبيرة. 1: 222 . غرسية غومس . المصدر السابق. 66 .
- 41 - ابن الأبار . المصدر نفسه . 1: 222 . غرسية غومس . المصدر نفسه . 66 .
- 42 - ابن الأبار . المصدر نفسه . 1: 222 . غرسية غومس . المصدر نفسه . 66 .
- 43 - ابن الأبار . المصدر نفسه . 1: 225 . غرسية غومس . المصدر نفسه . 72 .
- 44 - الركابي ، جودت . في الأدب الأندلسي . 133 . نقلا عن المقرئ . نفح الطيب . 1: 323.
- 45 - ابن الكتاني ، أبو عبد الله . كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . ص 160 . غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي . 72 .
- 46 - ابن الأبار . الحلة السبيرة. 1: 222 . غرسية غومس . المصدر نفسه . 68 .
- 47 - من هؤلاء الأمراء : عبد الرحمن الأوسط (حكم من 206 هـ - 238 هـ ) تعلق بالجارية طروب. انظر: ابن الأبار . الحلة . 1: 141
- 48 - المقرئ . نفح الطيب. 3: 586. غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي . 69 .
- 49 - ابن حزم . طوق الحمامة . 49 - 50 .
- 50 - غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي . 63 - 64 .
- 51 - هيكل ، أحمد . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف . مصر . 1982 . ص 131 .
- 52 - فورار ، امحمد . الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية . 32 .

- 53 - ابن بسام . الذخيرة 4/1: 27،76.
- 54 - ابن الكتاني . التشبيهات . 100. غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي . 66 .
- 55 - المقرئ . نوح الطيب.3: 588 . غرسية غومس المصدر نفسه . 70 .
- 56 - ابن الأبار . الحلة السبراء . 1: 221 - 222 . غرسية غومس المصدر نفسه . 71
- 57 - ابن الأبار . المصدر نفسه . 1: 221. غرسية غومس . المصدر نفسه . 71.
- 58 - ابن الكتاني . التشبيهات . 280 . غرسية غومس . المصدر نفسه . 78 .
- 59 - ابن رشيق، أبو علي ( . 456 هـ ) . العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده . تحقق محمد محي الدين عبد الحم . دار الجيل . بيروت. ط 5 . 1981. ج 2 ص 143 .
- 60 - غرسية غومس . الشعر الأندلسي . ترجمة حسين مؤنس . مصر . ط 2 . 1959 . ص. 105
- 61 - ابن الأبار . الحلة السبراء . 1: 244 . غرسية غومس . مع شعراء الأندلس والمنتبي . 67.